اقرباذين النباتات ومذهب النباتية

ان كلمة « أقرباذين » تدل في معناها على علاج الامراض علاجا توحيه التجارب والحنكة والبحث والاستقراء في الخواص الكيميائية والباثولوجية والفسيولوجية للادوية

ولقد كانت لكتاب المباحث الطبية في العصور القديمة والوسطى فكرة حسنة عن الاعراض العامة التي تظهر على الانسان من جراء بعض الادوية كالافيون والبلادونا وتأثير بعض الملينات والمقيئات وغير هذا وذاك ولو انهم في الواقع لم يفقهوا تماما سبب هذه الاعراض ومنشأها . ولقد كان علمهم بطبيعة الحال متوقفاً على تقدم بعض العلوم وبخاصة الكيمياء والفسيولوجى (علم وظائف الاعضاء)

وكان المرض في نظر الناس في العصور الاولي شيئاً ماديا يمكن اخراجه أو روحاً شريرة تطرد بمختلف أنواع العبادة ومن هذا يتبين أن الدين والطب كانا في النشأة الاولى بابا واحدا تقريبا . وفي تاريخ معظم الامم السالفة كان كثير من الآلهة والقسس أطباء وفدائيين وكانت المعابد بملحقاتها مستشفيات فيؤمر المريض بعد اداء مفترض الصلاة والتضحية أن ينام تحت أقدام تمثال الآله فيوحى اليه وهو في سباته بالعلاج فيدون بيان الدواء على عمد الم أو جدرانه وكان يظن أن بهذه الطريقة تتم عادة تدوين بيان الحوادث التي تعد نواة لعلم الطب ومن جهة أخرى فقد كان علماء القسس يقومون بمعالجة الناس بالسحر . وقد ذكر أنه في أيام رمسيس

الثالث اتهم رجل بعمل اليقونات كان من جرائها ان شلت يد رجل بدلا من ابرائها فحكم عليه بالموت

ولقد كانت عقيدة أبو قراط وهى ـ الشفاء بقوة الطبيعة ـ أول ما ألفت نظر الناس الي القوة الكامنة في المملكة النباتية التي تعين كثيرا من يعاني مرضا مزمنا أو داء عياء

وكان لجالينوس فى باديء الامر غرض واحد فلسفى فقد أحب أن يظهر حكمة الخالق في جعل كل شيء صالح فى اداء ما خلق من أجله فقاده هذا البحث الي اكتشاف تأثير النباتات على الامراض فاشار باتباع الطريقة الطبية ـ الاستشفاء بالعنب ـ فيتناول المرء خمسة أرطال أو ستة من الاعناب كل يوم اذ أن ما تحويه من المياه والاملاح يكثر من حركة الامعاء وينبه الكلى . ويستعمل علاج العنب كذلك في ابراء أمراض المعدة المزمنة وأمراض الامعاء والنقرس (داء الملوك) واضطراب الذهن الناشيء من الكآبة والاسى . وأشهر الاماكن التي يتناولون فيها هذا الدواء المستشفى المجاور لنهر الرين والواقع على بحيرة جنيفا ومن مقاطعة التيرول

ولم يخل تاريخ الاقرباذين من ان يطبع بطابع النهضة الاسلامية التي كان لها أعمق أثر في سياسة اوربا وعقليتها . ففى دمشق بذرت بذرة الطب اليوناني بمعونة اساتذة يهود ونصرانيين واقيمت فى بغداد كذلك معاهد زاهرة فلحة واسم يحي بن مسويه يذكر بين الذين اشتهروا بالنباتات الطبية فى ذلك العصر ولم يكن مسلمو الاندلس اقل من مسلمى الشرق همة ولا اضأل منهم نشاطا فى تشجيع العلوم ورفعها الي مستوي ارقى

ويبدأ عصر العلوم عند العرب منذ ابي بكر الرازي ـ عام ٩٢٥ ـ الذي

كانت له منزلة سامية ومكانة ملحوظة فى بغداد والذي كان يدين بعقيدة ابو قراط وجالينوس

وكتب على بن العباس كتاباً على تأثير النبـاتات عام ٩٩٤ نقل الي اللاتينية ثم طبع

ويعد ابن سينا اشهر من يمثل العرب فى علومهم ومعارفهم فكتب فى الفلسفة وغيرها من الابحاث ونال الشهرة الذائعة والصيت الطائر فى كل انحاء المعمورة بيد انه لم ينل المكانة الجديرة به بين مسلمى الاندلس أما في اوربا فقـد ابو قراط وجالينوس وطوي ذكرهما طيا .

ولقد عدد الاستاذ وستنفيلد ثلثمائة كاتب عربي فى المسائل الطبية وهم الذين يعدون الباعث الحقيقى والدافع الاكبر على التقدم فى استعمال الادوية والعقاقير طبيا وهو يعتقد فضلا عن ذلك ان العرب باتصالهم مع الشرق وقفوا على كثير من النباتات القيمة الثمينة التي احتفظت بخواصها حتي العصور المتحضرة وهم ايضا اول من اخرج للناس دواء مركبا واول من اسس صيدلية ولا يزال كثير من مسمياتهم وتراكيبهم الفنية مستعملا الى اليوم .

وفى اوائل القرن التاسع عشر كان لاكتشاف ما تدين به النباتات فى خواصها الطبية الي قليل من القواعد والاركان الثابتة الحاسمة كالقلويات تأثير كبير وائر واضح جلى فى تقدم فن الصيدلة .

ولنواجه الآن اولا التجارب الاولي التي قام بها البحاثون ففى عام ١٧٦٧ قام وليام الكسندر بتجربة عقاقير اجراها على نفسه وكادت تقضى على حياته وفى منتصف القرن التاسع عشر كثر عدد المشتغلين فى هذا المبحث وحوالي

هذا الوقت أسس بوشيم أول معمل كيميائي على الطرق الحديثة

وقد برهن على أن التأثيرات الطبية للعقاقير ترجع الي قواعد نتروجينية (أزوتيـة) فعالة موجـودة في انسجة النبـاتات والحيوانات تعرف بالقلويات .

وتوجد القلويات النباتية فى أغلب اجزاء النبات الا انها وفيرة في البذور والجذور وبخاصة فى النباتات ذوات الفلقتين

وصفات القلويات حسب قول هيل هويت هى كما يلى :

١ ـ انها جواهر نيتروجينية فعالة

٢ ـ انها أمونيا مركبة

٣ ـ تتحد بالاحماض وتكون املاحا متبلورة خالية من المياه

٤ ـ وقليل منها فى حالة السيولة مثل النيكوتين واللوبولين ولا تحوى هذه السوائل عنصر الاوكسجين

٥ ـ أما الصلبة منها فليست بذات لون ولـكنها متبلورة وتحوي عنصر الاكسوجين

٦ ـ وكلها ذات تأثير قلوي فتحول ورق عباد الشمس الاحمر الي ازرق اذا ما انغمس فيها

٧ ـ وجميعها لا يذوب فى الماء ولكن املاحها تذوب

٨ ـ ومذوباتها شديدة المرارة

ترتيب العقاقير والقلويات النباتية تبعا لاستعمالها في الطب

١ ـ العقاقـير التى تؤثر فى النسيج الحساس للسان والفم مثـل الاستركنين والـكنين

٢ ـ العقاقير التى تؤثر في المعدة مثل الروندو بصل العنصل
٣ ـ « « « في الامعاء الدقيقة مثل الكسكار والحنظل
٤ ـ « « « فى الكبد كالصبار والبوديفلم
٥ ـ « « « في جهاز التنفس كاليودو القنب الهندي (الحشيش)
٦ ـ « « « في القلب والجهاز الوعائي مثل الكافور والديجيتالس
٧ ـ « « « فى الكلى والمسالك البولية كالكحول واليوكامبتس
٨ ـ « « « فى الجهاز العصبي مثل البلادونا والافيون

وجدير بنا ان نعنى بذكر بعض النباتات المشهورة التي يؤمن ويسهل استعمالها طبيا فى المنازل نذكر منها ما يأتي :

١ ـ التمرهندى : يحوي طارطير البوتاسيوم والكلسيوم وحمض الطرطير وهومسهل مقبول الطعم
٢ ـ التوت : ينفع في علاج النزلة المعدية والتهاب اللوز
٣ ـ انتين والعنب وغيرهما من الفاكهة : دواء نافع وفعال ضد الامساك لاعتيادى والنرستانيا وداء المفاصل

٤ ـ الثوم : نافع فى طرد الديدان ومجلب للشهية ومنبه
٥ ـ الجزر : يساعد على الهضم ومسكن للآلام العصبية
٦ ـ جوز الطيب : دواء نافع ضد انحطاط القوي وهو كذلك مقو للمعدة
٧ ـ حبة البركة : منبهة ومكثرة من افراز اللعاب
٨ ـ الحلبة : ملينة ومقوية

٩ ـ الحلبية : مسهلة جدا ولبنها النباتي دواء نافع ضد البواسير

١٠ ـ الخندقوق : منقوع ازهاره مفيد ضد التهابات العيون

١١ ـ الخيار : خير لزاق على الجلد الجاف اذا مزج بالقشدة وكان يخين القوام

١٢ ـ الاذرة : منقوع ازهارها مدر للبول

١٣ ـ الرمان : قشره قابض وعظيم الفائدة في ايقاف النزيف ومنقوع جذوره طارد للديدان

١٤ ـ الزنبق : يتخذ دواء ضد الصرع

١٥ ـ الزيزفون : مسكن للتهيج العصبي وطارد للارق

١٦ ـ الزيتون : زيته مفيد لطرد الصفراء (المرارة) وحصا الكلى ومنقوع أوراقه جرب بنجح في معالجة الحمى المتقطعة

١٧ ـ السرو : يقبض الاسهال ويوقف النزيف

١٨ ـ الشعير : أحد الادوية المشهورة فى معالجة الام الكلى

١٩ ـ التبغ : يفيد فى بعض الامراض الجلدية وله تأثير كبير ضد دواء المفاصل

٢٠ ـ البقدونس : يحوي جوهر الابيولين الفعال المدر للبول لي درجة عظيمة وكثيرا ما يستعمل فى أمراض النساء .

٢١ ـ البلح : منقوع ثماره خير ما تعالج به الام الصدر

٢٢ ـ الآس : منبه وقابض

٢٣ ـ الآنسون : يحسن من نوع لبن الامهات المرضعات ويكثر من كميته وكذلك به زيت متطاير يفيد ضد سوء الهضم

٢٤ـ البابونج والكراوية : كلاهما مرطب ومسكن ومنفث

٢٥ـ البصل : نافع اذا استعمل موضعيا فى الالتهابات وباطنيا لتقوية المعدة ودر البول

٢٦ـ الحنظل : مقيء شديد الفعل

٢٧ـ الحناء : مجففة اذا استعملت موضعيا لمن كان افرزهم للعرق يزيد عن المألوف وكذلك تشفى الجروح وتبريء القرح

٢٨ـ الحور : قلفه خير عوض عن الكينين في حالة الحمى المتقطعة ومنقوعه يعين كثيرا على شفاء النزلة الشعبية المزمنة

٢٩ـ الخبازي : من احسن الادوية التي تتخذ غسولا للالتهاب الداخلى فى الآذان ومنقوع أزهارها تستخدم في الاختبار الكيميائي اذ أنه يحول احمر فى الاحماض وأزرق في القلويات خلافا للتموس

٣٠ـ الخس: منوم وهو يقوم مقام الافيون اذا ابتغى اطالة امد التخدير

٣١ـ الخردل : به زيت لذاع (حريف) أما مسحوقه فمقيء ويستعمل فى حمام القدم ممزوجا بالماء الساخن ضد اضطراب الدماغ . وعجينة مسحوقه اذا استعملت موضعيا تكون احسن لزاق والخردل فى تناوله ضمن الطعام مقو للمعدة ومجلب للشهية

٣٢ـ الخطمية : كثيرا ما تستعمل جذورها ضد الام الصدر

واهم ما ورد من هذا الجدول هو ما يعرف من وجود عناصر ضمن محتويات النباتات المذكورة وغيرها من الخضر ضرورية لحفظ كيان الصحة ولا تفتأ الطبيعة تهيء لنا منها فى معملها غذاء وعلاجا

وترجع الخواص المطهرة لانواع السلطة الي مافيها من الزيوت اللذاعة

أما في الخردل وأشباه الجرجير فالمرجع الي الزيت المتطاير الذي يعرف كبريتور سيانور الاليل وهو من أقوي المطهرات الموجودة

وللبصل وأشباه الثوم زيت متطاير كهذا يعرف باسم كبريتور سيانو والاليل وهو شبيه كبريتور الاليل فيما عدا اختلاف كيميائي طفيف اذ الكيميائي يستطيع ان يحول الواحد الي الاخر اذا شاء وفي اللعاب الانساني كبريتور بوتاسا الاليل والدم يحتوي مركبا حديديا في هوموجلوبينه يشابه مركب الحديد الموجود فى كلوروفيل الخضر

وهكذا كلما أمعنا في درس مملكتي النبات والحيوان وأجرينا بينهما المقابلة زاد ادراكنا لمتانة الصلة بينهما وذهب بنا ذلك الي التساؤل عما اذا كان الآدميون طائفة من الوحوش . أو بعبارة أخف والطف أهم من آكلى اللحوم أم النبات ؟ ومن الممكن الادلاء بالحجج لاثبات هذا أو ذاك ولكن لما كان الانسان في بعض القبائل يأكل لحم الانسان فخير أن يترك هذا السؤال لمن يعتقدون بحق ان مدنية كل جنس يمكن قياسها بمقدمات طعامه

ولا شك فى أن نوع الطعام من شأنه أن يكون ذا تأثير عظيم في درجة الحرارة وفى صحة الانسان ونشاطه وذكائه وان أرباء اللحم والغذاء الحيوانى على ما نحتاج اليه ليس مضيعة فحسب بل هو يحدث أمراضا لا ضرورة لها . وليس فى الجسم مخزن لما يزيد عن الحاجة من مادة النتروجين كما للسكريات والدهنيات ومن أجل هذا يصبح اللحم اذا جاوز مقدارا معينا سما وينتج عن ذلك الحامض البولي

وقد يكون مما تجدر ملاحظته ان الحامض البولي يحدث نفس الاعراض

التي يسببها الكحول ونفس الاعراض التي تحدثها انواع شتى من الجنون والغضب الوحشي نعني بذلك ارتفاع ضغط الدم وكثرة تدفق الدم الى الوجه والمخ .

وقد بدأت كلمة « النباتية » الحديثة نسبيا تستعمل فى أوربا حوالى ١٨٤٧ وهى كلمة يعنون بها أن يعيش المرء على الاغذية الخالية من السمك واللحم والطيور .

والاسباب التي يقدمونها لتبرير النباتية عديدة وهذه أهمها :

١ ـ الصحة : ان الحيوانات تصاب بامراض قد يعدي بعضها الانسان

٢ ـ الاقتصاد : ان الغذاء المستخلص من مقدار معين من الفاكهة والحبوب أقل نفقة من نفس الغذاء المستخلص من لحم الحيوان

٣ ـ الاقتصاد الاجتماعى : ان فدان الارض المزروعة يخرج من ضعفين الى عشرين ضعفا لمقدار الطعام المستفاد من نفس الارض المتخذة مرعى للانعام . وقد جاء فى الاحصاء الذي أجري فى اولايات المتحدة عام ١٨٢٥ ان قبائل الهنود الحمر كانوا يحتاجون الى ١٫٧٥ ميلا مربعا لكل فرد منهم وعلى هذا الحساب لا تستطيع كل أوربا بما فيها الروسيا أن تغذى اكثر من مليونين من الهنود الحمر وهم من أكلة اللحوم

وقد حدث فى السباقات الدولية ان كسب سباق المشي في برلين ودرسدن (١٢٥ ميلا) جماعة من النباتيين وكذلك نالوا جائزة التنس في انجلترا (أربع سنوات متعاقبة الي ١٩٠٢

٤ تحسين الاخلاق : انه ينبغى بعد ان تكتسب فضائل الشجاعة وانتفاء الخوف فى المراحل الاولي للمدنية . أن تبث فضيلة الانسانية

والعطف فى سمى معدات النشوء . وقد شرعت الحركات الاشتراكية فى التاريخ الحديث تجنح الى هذه النظرية من بعض النواحى . على أن أعضاء جمعيات محاربة التجارب فى أجسام الحيوانات الميتة وجمعيات الرفق بالحيوان وأمثالها ينبغى أن يذكروا أن عليهم أن يكونوا قدوة لغيرهم اذا أرادوا أن يأخذ الناس عنهم وأن يمتنعوا هم عن الطعام الذي يجر الى ايذاء الحيوان وايلامه .

ثم طوائف دينية كثيرة فضلا عن جيش الخلاص وتلاميذ تولستوي تشجع النباتية ومن هنا أخذت الكفة ترجح في جانبها

وقد تألفت هيئات لنشر هذا الاسلوب من أساليب الحياة واسمت نفسها الجمعيات النباتية ويقوم أعضاؤها بنشر الدعوة بالمحاضرات والرسائل وبالمظاهرات وباقامة الطاعم

وقد كان الفيلسوف العظيم ابو العلاء المعري المولود بالمعره عام ٩٧٣ يري من الخطل أن يتخذ من لحم الحيوان طعاما ومن جلده ملبسا فعاش على النباتات واحتذي نعالا من الخشب وكان فى مذهبه من الاجرام أن تحلب الحيوانات أو يشار العسل .

ومن شعره فى ذلك ما معناه

« ان عصير الغذاء الذي نتناوله عامل كبير فى ضيق الروح واتساعها »

ولا محالة ان هذا العطف الذي انعش أخلاقه كان نتيجة لهذه الفكرة

« ان مسح برغوث حريته خير وأتقى من اعطاء فقير قطعة من الفضة وليس ثم فرق بين الانسان وغيره من الانواع فالكل متمسك باهداب الحياة متشبث بأذيالها »

وفى رساله له الي هيبة الله بن موسي الذي كان بالقاهرة يقول أبو العلاء :

« ان دخلى عشرون دينارا أو ينوف قليلا ولو تناول منها الخادم جانبا بقدر ما يحتاج اليه لما تبقى منه شيء يذكر ولهذا فقد قيدت نفسي ان لا انذوق خلا الفول والعدس وغيرهما مما لا أحب ذكره

« ولتكن واثقا يا صديقى ان الجوع مع الزهد يصبح حقلا خصبا للخواطر والافكار ـ تفتق الذهن وحياة الروح . »

على شمس الدين